الشخصية الانثوية اللبنانية

تمايزات الواقع وتعبيرات التمايز

فادية حطيط

مقدمة

تتجه الحركة النسوية اليوم إلى العتق، مثلها مثل حركات التحرر الكبرى، تصبح شيئاً من أحلام الماضي، تتجمع وتنزوي في ركن سحيق من وعي النساء. وبين الحين والآخر تبرز بعض المؤشرات عن حيوية ما فتئت تضج في ثناياها. نساء في مناصب قيادية، نساء يشكّلن عصب الحركات السياسية، نساء يقفن إلى جانب قياديين أو وراءهم ولكنهن يحتللن واجهة الحدث.

تعتق الحركة النسوية تماماً مثل كائن كبر وما عاد قادراً على التنطح. صقلته السنون وأدرك أن للواقع قوة تناهض قوة العزيمة... ومثله أيضاً تكتسب الحكمة. لذا تتجه النساء حاملات القضية اليوم إلى الدراسات والأرقام والوقائع، مع علمهن التام بصعوبة هذا التوجه ودقته، فهن يلعبن لعبة الخصم وفي أرضه.

تعتق الحركة النسوية، غير أن قضية النساء ما زالت تحتفظ بألق الحياة. تدلنا إلى ذلك موضوعاتها الآخذة في الازدياد والتوسع حتى طالت مناحي الحياة كافة. موضوعات تتدافع كلها لتحتل رأس هرم الأولويات. فمن إعادة صياغة التاريخ وإسماع صوت الطرف الصامت فيه - أي المرأة[1] إلى تأسيس منهج علمي يعترف بالأنثوي وينطلق منه، بعد أن اكتشفت النساء خداع زعم الموضوعية، فالمنهج العلمي نفسه يتأثر باختلاف الأسلوبين الذكوري والانثوي[2] إلى دراسة الواقع في مختلف تجلياته العلائقية والقانونية والرمزية والاقتصادية (انظر كتاب الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي).

---

(١) فاطمة المرنيسي، «الديمقراطية كانحلال خلقي: التناقض بين المؤمنة والمواطنة كتعبير عن غياب الاستقلال التاريخي للذات العربية»، في: **التحديات التي تواجه المرأة العربية في نهاية القرن العشرين**، (القاهرة: منشورات تضامن المرأة العربية، ١٩٨٦).

(٢) سعاد جوزيف، «التأنيث والأسرة والذات والسياسة»، في «**في وطني أبحث، المرأة العربية في ميدان البحوث الاجتماعية**»، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٣)، ص ٧٢.

ما عادت النساء تخاف تهمة اللاعلمية والذاتية إذا ما تواطأن مع موضوعاتهن. فالتواطؤ والتعاطف والحميمية صارت جزءاً من عدة النظر نفسه. وان تدرس موضوعاً وتصبح جزءاً منه، دون فرض إجابة معينة أو محاولة للسيطرة فذلك منهج أنثوي يتميز عن المنهج الذكوري[٣] ولا ضير البتة في ذلك.

إذن تغيرت الأهداف الكامنة في أعمال ومواقف النساء، من المطالبة بحق التواجد والمساواة، إلى المطالبة بالخصوصية والتميز والفرادة. لقد وعت النساء أن القطيعية باتت مظهراً من مظاهر الانسحاق والذوبان في المجتمعات الحديثة السائرة نحو الفردانية[*]، فاتجهن إلى الانفراط، كل واحدة في مسار تؤكد فيه فرديتها أي صياغتها الذاتية للإنسانية.

هنا، باعتقادي، تكمن جذور مشكلة المرأة الحديثة. إن الطريق إلى الفردية لدى المرأة أصعب وأطول من طريق الرجل.

وأميل إلى الاعتقاد أيضاً أنه إذا كانت أمومة النساء هي سمة أولى في فرادتهن إلا أنها إحدى عقبات الفردنة الأساسية لديهن. يضاف إلى هذا الواقع النفسي وينبثق منه واقع اجتماعي يتسم بضعف الفردانية في المجتمعات العربية، مما يزيد من حدّة التأزم في معاش المرأة العربية وتصوّراتها.

أولاً ـ الاطار النظري

تنبني «الأنا» حسب دراسات علم نفس الطفل في عالم الغلبة فيه للعنصر الأمومي، على الأقل في المجتمعات الحديثة. فالمرأة الأم هي الشخص الأول في ساحة الطفل النفسية. وتشكل العلاقة بها في وجهتها البيولوجية والانفعالية ـ العاطفية، المرجعية الأولى لتكوّن الوعي بالأنا وبالآخر. في البدء، تشكل الأم «أنا» الطفل (Bowlby, Spitz)، ثم هي أول «آخر» (autre) لديه[٤]. ولمراحل النمو محطات ثابتة لا يحيد عنها النفسانيون، من أنوية أمومية شاملة غير متمايزة إلى أنوية طفلية متدرجة بلوغاً إلى «الفردوية Initividualisme التي هي الشكل البالغ للأنوية»[٥].

تولد الأنثى من رحم الأنثى، تتوالد من ذاتها. ينبني «الأنا» عندها تبعاً لصورة متماثلة لذاتها.

---

(٣) سعاد جوزيف، المصدر نفسه، ص ٧٢.

(*) نقصد بالفردنة (individuation) السيرورة النفسانية لتشكل الوعي بالفردية (individualité) وبالفردانية (individualisation) السيرورة الاجتماعية لهذا التشكل.

(٤) P. OSTERRIETH, **Introduction à la psychologie de l'enfant, (Paris: P.U.F, 1978) p. 70.**

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣١.

علاقتها الأولى هي بالأم/ الأنثى. أما العلاقة بالذكر/ الأب فتتأخر، حسب التحليل النفسي، حتى المرحلة الأوديبية. أي تبقى الأنثى متماثلة بذاتها، متكاملة بها، دون وعين لكينونة خاصة بسبب غياب ما هو متغاير عنها، حتى عمر السنتين والنصف تقريباً. مع بدء الاكتشافات الجنسية. وهو العمر الذي يتشكل فيه الوعي الجسدي ثم الوعي النفسي الذي يلي الأول وينعقد عليه، فيما يسمى بمرحلة الشخصنة Personnalisme عند Wallon[٦]. بمعنى آخر، يتم تشكيل نواة الشخصية الأنثوية بشكل صافٍ وقبل دخول عنصر الذكورة عليه.

ويؤكد بعض النفسانيين ان تمثل الاخر وتمثل الذات يتمان في سيرورة تمايز Différenciation (ماهلر Mahler) أي يجريان صعوداً من حالة توحد كلي بالأم (autisme) إلى حالة انصهار معها (Symbiose) إلى حالة الوعي بالموضوع Conscience Objectale. ونفترض أن شدّة الانصهار فيما بين الأم ـ الأنثى (بسبب وحدانية الجنس) يؤخر سيرورة التمايز وبالتالي تمثل الذات، وفيما بعد سيرورة الفردنة لدى الفتاة.

في المقابل ثمة من النفسانيين من يعتقد أن بناء الذات ومن ثم سيرورة الفردنة يتمان في وجهة متعاكسة، من حالة تجزيئية (بيولوجية) أولى إلى حالة كلية في سيرورة ادماج intégration (Klein) وتنقسم الأم في وجدان الطفل إلى موضوعات حب وكره، إلى صور جيدة وسيئة، ثم تتجمع فيما بعد في صورة كلية يتشكل تبعاً لها تمثل الذات كموضوع. وفي مثل هذه الوجهة، يبدو الذكر منطلقاً من انقسام أكثر حدّة وتجذراً ومهمته النمائية أصعب (التوحيد بين صور الأم والتوحد معها بالرغم من اختلافها عنه) وتبدو الأنثى أكثر قدرة على الادماج.

في كلي الاتجاهين، يبدو العنصر الثقافي/الاجتماعي رديفاً للعنصر البيولوجي وإن بدت الغلبة للثاني. ذلك ان المجتمعات الحديثة تتجه نحو خلط الأدوار الجنسية لا انقسامها. كما تتجه أدوار الأمومة والأبوة ناحية نقطة التقاء واحدة. تتقارب أدوارهما بحيث ان الأم صارت أميل إلى النموذج الذكوري التقليدي (حزم، اتخاذ قرار، مساندة مادية)، في حين ان الأب أخذ يميل ناحية الاعتناء بالأطفال ورعايتهم.

هذا يعني، فيما يعنيه، تدخل أكبر وأبكر للعنصر الذكري في سيرورة بناء الذات عند الأنثى. وإذا ما انطلقنا من الانجذاب الطبيعي القائم فيما بين الجنسين، نعتقد أن هذا التدخل يصبح شديد الفاعلية لناحية بروز (émergence) خصوصية أنثوية أكثر قيمة وأهمية. وتنتج هذه الفاعلية برأينا، من سببين اثنين:

السبب الأول: حضور الرغبة. فالولادة والعيش من دون رغبة تنقصهما الحياة. أن تجسد

---

(٦) H. Wallon, **L'évolution psychologique de l'enfant**, (Paris; Armand Colin, 1968).

الأنثى رغبة حقيقية للأب أولاً وللوالدين ثانياً ـ وهو ما تدعوه دينرشتاين[٧] بضرورة المشاركة الوالدية المبكرة ـ هو الأساس الأول في بناء الثقة بالنفس، التي هي حسب أريكسون[٨] أولى خطوات بناء الهوية.

السبب الثاني: التخفيف من ثقل مخزون الانهزام والانسحاق المتوارث في وعي المرأة/ ولا وعيها من خلال مشاركة/ أبوية فاعلة وواثقة في البناء النفسي للأنثى في سنواتها التكوينية الأولى.

ثانياً ـ مشكلية البحث

أشرنا في المقدمة إلى ضرورة وصول المرأة إلى وعي خصوصيتها وتأكيد اختلافها. من خلال فردية متبلورة تناقض وتلغي من ثم تلك السمات الشائعة عن المرأة: «خصيصة المرأة ينبغي أن تكون نوعاً من التهويم شبه الصوفي فيما لا يسمى»[٩]. «المرأة عورة» (هل لأحد أن يصف لنا عورة رآها؟).

وأشرنا في الإطار النظري إلى أن استحواذ الصورة و(الوظيفة) الأمومية على عالم الأنثى النفسي ـ بما تحمله هذه الصورة من مضامين تبخيسية للذات من جهة، وبعدم قدرتها على تشكيل الوعي بالتغاير من جهة أخرى ـ يمثل فرضية قوية لتفسير ضعف الفردية الأنثوية. وتلتقي هذه الفرضية إلى حدّ كبير مع مقولة دينرشتاين[١٠] التي تعين للأم دوراً رئيسياً في تثبيت الحالة الطفلية عند الفتاة، وحالة الخضوع عند النساء عموماً، من خلال مسارين: **الأول**، هو أن الطفولة ذات الهيمنة الأمومية تجعل احتمال النضوج الجنسي عند البلوغ أكثر صعوبة لدى الفتاة مما هو لدى الصبي؛ **والثاني** هو أن الطفولة ذات الهيمنة الأمومية تؤدي لاحقاً، في المجال الجنسي، إلى طلب الإنكار الذاتي للجسد، وتلبية المرأة لهذا الطلب يقوّي لديها الصفات «الأنثوية» مثل الامتثال، المهانة، والتبعية.

ويبدو مجتمعنا حالة نموذجية لهذا الوضع. فهو بسبب طابعه الأبوي التقليدي، يقوم بفصل حادّ ما بين الأنثوي والذكوري. الداخل حقل النساء والخارج حقل الرجال. وتوزيع الأدوار في

---

(٧) D. DINNERSTEIN, **The mermaid and the Minotaur: Sexuel arrangements and human malaise**, Harper & Row, Publishers, (New-York: 1977). p. 13.

(٨) E. ERIKSON, **Enfance et société**) traduction A, CARDINET, (Suisse: Delachanux et Niestlé, 1959).

(٩) كريستيفا، مجلة **مواقف**، «قضايا المرأة العربية»، العدد ٧٣ ـ ٧٤، خريف ١٩٩٣ ـ شتاء ١٩٩٤ ص ١١٤.

(١٠) DINNERSTEIN, P. 83.

الأسر يبدو حاسماً الأم والأولاد من جهة، والأب والبالغون من جهة أخرى. وللأم السلطة الكبرى في تشكيل البناء النفسي للأولاد، وخصوصاً للإناث منهم.

ولكن إذا كان دور الأم معظماً لدى الأبناء من الجنسين، بحيث يشكل أحد المفاتيح الرئيسية لفهم الشخصية القاعدية للمجتمعات العربية الإسلامية[١١]، إلا أن تأثيره يختلف لدى كل من الجنسين. ذلك أن علاقة الأم بالإبن الذكر تنطلق من خلفية مؤسسية ذكورية قوية وواضحة. بسبب «ذكورية المحيط الاجتماعي نفسه»[١٢]. والأب هو المرجع Référence لعلاقتها به، بينما تبدو علاقتها بالإبنة مفتوحة على الأنثوي حصراً (الجدة، الخالة، العمة...) والأنثوي كما حاولنا أن ندلّ عليه هو عنصر مهمّش ومستلب في البنية الاجتماعية، أنه ـ كما تقول كريستيفا ـ ذلك الغريب فينا[١٣].

ثالثاً ـ فرضيات الدراسة

(أ) الفرضية الرئيسية لهذه الدراسة هي أن الشخصية الأنثوية اللبنانية تنم عن فردية ضعيفة بالمقارنة مع الشخصية الذكورية. ويتخذ ضعف الفردية مؤشرات عديدة ومتغيرة تبعاً للوضع الفردي والإجتماعي، منها ـ وربما أهمها ـ حالة الاستلاب، أي النزوع إلى التماهي مع ما يخالف حال المرء وهواه، وحالة الالتباس (وأيضاً ما يسمى بحالة التهويم) ونراها شبيهة إلى حدّ كبير بالصورة المشوّشة التي إذا ما عدّلت وجهة النظر إليها وواسطته ارتدّت إلى نقائها المطلوب. ويعبّر هذان المؤشران على نحوٍ كبير عن واقع مأزمي للمرأة، يتبدى في تعبيراتها النفسية.

(ب) الفرضيات الإجرائية:

١ ـ تتميز التعبيرات النفسية للفتيات اللبنانيات بنوع من الصدّ (Inhibition).

٢ ـ تزداد تعبيرات القلق والتبعية لدى الإناث في مقابل تعبيرات الاستقلالية لدى الذكور.

٣ ـ يشكل المخزون الثقافي، والانتماء الطائفي أحد روافده، عاملاً محدداً في وجهة التعبيرات النفسية (تبعية أو استقلالية، قلق أو تكيف...) لدى الإناث (والذكور أيضاً).

رابعاً ـ إجراءات البحث

(أ) **التقنيات المستعملة:** يستخدم البحث بشكل أساسي تقنية الرائز الإسقاطي لويزا داس Louisa Düss لكشف التعبيرات النفسية الكامنة عند الفتيات. وهو يتألف من عشر حكايات

---

(١١) A. BOUHDIBA, **La Sexualité en Islam, (Paris: P.U.F, 1975), P. 262.**

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(١٣) كريستيفا، مصدر سابق، ص ١١١.

وضعت بالاستناد إلى المبادىء التحليلية، ويمثل كل منها موقفاً معيناً متروكاً بدون خاتمة يطلب إلى الطفل وضعها بنفسه حسبما يراه مناسباً (انظر الترجمة العامية للحكايات في ختام النص).

ولقد قام الباحث Camilleri بتطبيق هذا الرائز على أطفال تونسيين وأوروبيين وتبيّنت له مصداقيته الكافية لكشف الانبناء النفسي العام، وكذلك لإظهار الفروقات التفصيلية في التوازنات النفسية بين الفريقين(١٤). كما شكلت نتائج هذه الدراسة معطيات أساسية في دراسة الشخصية العربية المسلمة عند جعيط(١٥)، مما دفعنا إلى استخدام المنهجية ذاتها في دراستنا.

جرى تمرير هذا الرائز إفرادياً على مجموع العينة، بعد التأكد من إمكانية فهمه من قبل الأولاد. كما جرت الاستعانة عند الضرورة بمعطيات استمارة وضعت خصوصاً للكشف عن الجانب السلوكي الواعي في العلاقة الأسرية.

(ب) العينة: تتشكل العينة الأساسية من ١٧٥ فتاة (٨٩ فتاة مسلمة/ سنية و٨٦ فتاة مسيحية مارونية) من عمر ٧ ـ ٩ سنوات. وجرت الاستعانة بعينة رديفة مؤلفة من ١٧٩ صبي (٩٠ مسلم/ سني و٨٩ مسيحي/ ماروني) ومن العمر نفسه. وتشكل عينة الذكور مجموعة شاهدة (Groupe Témoin) على التمايز أكثر من كونها موضوع نظر خاص.

أما أخذ متغير الإنتماء الطائفي في الاعتبار فمردّه اعتبارنا ـ كما سلف ذكره ـ هذا الانتماء جزءاً من الإرث الثقافي للفرد اللبناني. وأما حصر الاختيار بالطائفتين السنية والمارونية فمردّه أولاً الرغبة بالحصر، وثانياً المقابلة ما بين الديانتين الإسلامية والمسيحية بوصفهما بيئتين ثقافيتين تلتقيان في مناحي عديدة ولكن أيضاً تختلفان بسبب تطلعات وتماهيات حضارية متغايرة، وثالثاً بسبب التكافؤ المفترض لوزنهما السياسي (هل تغير هذا الافتراض بعد الطائف؟) ورابعاً لصعوبة اعتبار الطوائف الأخرى أكثر تمثيلاً للديانتين المذكورتين.

أما تحديد عمر أفراد العيّنة فكان من أحد أهدافه تقليص أثر عامل النضوج لدى الفتيات. ونعتقد أن لهذا العامل دوراً فاعلاً في تغيير وقولبة التعبيرات النفسية لديهن. فالبلوغ، إذا ما اعتبرناه ـ تجاوزاً ـ رديفاً للنضوج الانثوي، يغير ليس فقط من الأواليات الدفاعية الأنثوية وإنما أيضاً من شبكة تماهياتها الأساسية. ومرحلة المراهقة تشكل حالة من التقلب لا تعين الباحث على كشف التوازنات النفسية المستقرة. ان اختيار البنات في عمر الطفولة يتناسب مع

---

(١٤) C. CAMILLERRI, «Application du test prodectif de Louisa Düss à des goupes d'enfants tunisiens et europeéns de Tunisie»; Traveaux du CNEPP; Université de Tunis, Cahier No 2, Mars 1964, p. 60.

(١٥) H. DJAÏt, **La personnalité et le devenir arabo-islamique** (Paris: Seuil, 1974).

المقولات النفسية التي تعطي هذا العمر وزناً نفسياً أكبر، كما أنه يتناسب مع هدف هذه الدراسة الحالية من حيث «العودة إلى التنشئة الأولى للمرأة (الأنثى الطفل) أي تفاعل الأنثى/ الطفل مع البيئة والمجتمع وانعكاسهما عليها، وهو منطق علمي، عكس المنطق الذي يبحث في قضية تحرير المرأة من حيث هي الآن (هكذا!) إلى بمعزل عن التفاعل المشار إليه»[١٦].

ويذكر هنا ان اختيار العينة تم حصراً في مدينة بيروت في النصف الأول من عام ١٩٨٦[*] وجرى تطبيق الرائز في مدارس الأولاد.

(ج) **طريقة البحث**: بالرغم من أن التقنية المستخدمة تعتمد على النهج العيادي/ الاسقاطي، إلا أن هدفنا لم يكن اجراء دراسة عيادية معمقة للأفراد، بل ايضاح السمات العامة للشخصية الأنثوية بمقارنتها مع الشخصية الذكرية. من هنا، كان استخدامنا للرائز كاستمارة تتوجه إلى لا وعي الأفراد وتقاربه مقاربة وصفية. واعتمدنا التحليل الاحصائي القائم على اختبار «كا^2» الذي هو طريقة لتحديد ما إذا كانت الفروق بين التكرارات النظرية والملاحظة في أي عدد من الأقسام يمكن إرجاعها منطقياً إلى اختلافات صدفة في اختيار العينات[١٧]، أو أنها فروق ذات دلالة احصائية تنبىء عن وجود فوارق فعلية لا تتدخل الصدفة فيها.

خامساً: عرض النتائج

١ ــ الحكاية الأولى: حكاية العصفور (لمعرفة مدى تثبيت[*] fixation الطفل على أحد والديه أو استقلاليته)

---

(١٦) منى ميخائيل، «**عرائس المولد**»، ترجمة محمد عوض خميس، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، [د.ت])، ص ٧.

(*) يذكر هنا ان الاستقصاء أجري في إطار التحضير لنيل شهادة الدكتوراه. ولم نعمد إلى نشر النتائج قبل الآن بسبب بعض الخشية والتحفظ. ذلك ان الكلام حول الاختلافات الطائفية كان مرذولاً في فترة سابقة لاعتباره إذكاءً لنار الانقسام. ويبدو أن النظرة تغيرت الآن بسبب استحداث بعض المفاهيم الجديدة.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الحالية هي محاولة قراءة جديدة للإحصاء.

(١٧) ج. سميث، **الدليل إلى الإحصاء في التربية وعلم النفس**، ترجمة ابراهيم عميرة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨).

(*) يستخدم الرائز مفهوم «التثبيت» بالمعنى الفرويدي الذي يتضمن نوعاً من الحكم السلبي. ولقد فضلت استخدام مفهوم «التعلق» لأنه أقرب إلى واقع الحال. ذلك ان الارتباط العاطفي الشديد بالأم والأهل عموماً يبدو سمة عامة في المجتمعات العربية، ويبطل بالتالي، بسبب هذه العمومية تحديداً، نعتها باللاسواء.

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
أجوبة دالة على القلق	٢٥ (٪١٤)	٣٠ (٪١٧)	٢١ (٪٢٣)	٢١ (٪٢٣)	٤ (٪٤)	٩ (٪١٠)
ـ قلق بحت	٢١	٢٢				
ـ طلب المساعدة	١	٣				
ـ الأهل ينادون الطفل	٣	٥				
أجوبة دالة على التعلق	١١١ (٪٦٢)	٩٢ (٪٥٣)	٣٥ (٪٣٩)	٣٦ (٪٤٠)	٧٦ (٪٨٥)	٥٦ (٪٦٥)
ـ اختيار الوالدين	١٢	١٥	١٢	١٤	٠	١
ـ تفضيل الأم	٦٢	٥٢	٢٢	١٨	٤٤	٣٠
ـ تفضيل الأب	٣٧	٢٥	٥		٣٢	٢٥
أجوبة دالّة على الاستقلالية	٤٣ (٪٢٤)	٥٣ (٪٣٠)	٣٤ ٪٣٨	٣٢ ٪٣٦	٩ (٪١٠)	٢١ (٪٢٤)

بالرغم من حالة التعلق الشديد بالأهل وخصوصاً بالأم الملاحظة لدى أفراد العينة ذكوراً وإناث، فإن أجوبة البنات تشير عموماً لاتجاه بسيط للاستقلالية (٣٠٪) يشوبه قلق مكتوم (١٧٪) غير أن التحليل الاحصائي لا يشير إلى فروقات دالة فيما بين فئتي العينة.

أما فيما يتعلق بالأبناء المسلمين فيظهر اتجاه للتشابه بين الفئتين فيما يتعلق بتعبيرات الاستقلالية والقلق. غير أن ثمة فارقاً ملفتاً للنظر ويدل التناول الاحصائي على دلالته هو عدم وجود اختيار واحد للأب بمفرده لدى البنات المسلمات.

بالمقابل لدى الأبناء المسيحيين، فإن فارقاً ذا دلالة احصائية يظهر في التعبيرات الدالة على الاستقلالية حيث تبلغ لدى البنات ضعفيّ ونصف أجوبة الصبيان، الذين يظهرون استجابات تعلق أكبر بالأهل ـ وخصوصاً الأم. أما مشاعر القلق فتبدو قليلة لديهم.

أما المقارنة فيما بين الطائفتين فترينا فرقاً ذا دلالة احصائية كبيرة بين الصبيان. فالمسلمون منهم يعبرون عن استقلالية أكبر وقلق أكبر في حين ان الاستجابات الدالة على التعلق تغلب عند الصبيان المسيحيين.

ويبدو الفرق ذا دلالة احصائية (وان أقل مما لدى الذكور) لدى البنات أيضاً وفي نفس اتجاه الذكور. فالبنات المسلمات يظهرن أكثر استقلالية وقلقاً أما المسيحيات فأكثر تعلقاً. والأمر

اللافت للانتباه كان اختيار ٢٩٪ من الفتيات المسيحيات أباهن كموضوع تعلق في حين لم تختره أية فتاة مسلمة.

٢ ــ **الحكاية الثانية**: حكاية عيد الزواج (لكشف الغيرة من اتحاد الأبوين).

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
مشاعر حيادية	٨٢ (٤٦٪)	٦٩ (٣٩٪)	٤٩ (٥٤٪)	٤٥ (٥١٪)	٣٣ (٣٨٪)	٢٤ (٢٨٪)
مشاعر ايجابية	١٧ (٩٪)	٢١ (١٢٪)	١٥ (١٧٪)	١٧ (١٩٪)	٢ (٢٪)	٤ (٥٪)
مشاعر سلبية	٧٨ (٤٣,٥٪)	٨٥ (٤٨,٥٪)	٢٦ (٢٩٪)	٢٧ (٣٠٪)	٥٢ (٦٠٪)	٥٨ (٦٧٪)
مجموع	١٧٧(*)	١٧٥	٨٩	٩٠	٨٧(*)	٨٦

(*) إجابتان غير محددتين

إحصائياً يبدو الفرق دالاً فيما يتعلق بالمشاعر الحيادية والمشاعر السلبية. أما المشاعر الإيجابية فهي وإن كانت أكبر لدى الفتيات إلا أنها تتشابه احصائياً مع مثيلاتها لدى الصبيان.

إن المشاعر السلبية أكثر وروداً لدى البنات وخاصة التي تشير إلى الحرمان العاطفي (مش مبسوط، راح يفتش عن أحد يحبه: ٢٤ إجابة لدى الصبيان و٤٨ إجابة لدى البنات) أما الإجابات التي تظهر مشاعر غيرة ذات مضمون جنسي فتزيد كثيراً عند الصبيان (٤٧ إجابة مقابل ٢٩ إجابة لدى البنات).

بالنسبة للطوائف يلاحظ تشابه عام فيما بين استجابات الصبيان والبنات في الطائفة المسلمة (فرق غير دال احصائياً) وكذلك الأمر في الطائفة المسيحية. ولكن تجدر الإشارة إلى أن المشاعر السلبية والإيجابية كانت أكثر وروداً لدى الفتيات عموماً، أما الصبيان فاكتفى عدد أكبر منهم بإجابات حيادية مما يشير إلى نوع من التأثر تركته وضعية الاستبعاد التي اثارتها الحكاية، أكبر لدى البنات مما لدى الصبيان.

والمقارنة بين الجنسين من الطائفتين تشير إلى فرق ذي دلالة احصائية بين الصبيان.

فالاستجابات السلبية أكثر وروداً لدى الصبيان المسيحيين، ويبدو المسلمون أكثر تقبلاً لوضعية الاستبعاد.

والفرق أكثر حدة (احصائياً) بين الفتيات في المجموعتين. وتبدو الفتيات المسيحيات أكثر تأثراً بوضعية الاستبعاد من الفتيات المسلمات.

٣ ــ حكاية الحمل: مكشف مأزم الفطام والغيرة الأخوية.

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
استجابات حرمان	٤٦	٤٦	١٩	٢٠	٢٧	٢٦
	(٪٢٦)	(٪٢٦)	(٪٢١)	(٪٢٢)	(٪٣٠)	(٪٣٠)
بسبب الفطام	٣١	٤٢	٩	١٨	٢٢	٢٤
بسبب الغيرة الأخوية	١٥	٤	١٠	٢	٥	٢
● مازم	٣٦	٢٨	١٧	١٦	١٩	١٢
	(٪٢٠)	(٪١٦)	(٪١٩)	(٪١٨)	(٪٢١)	(٪٤)
تسويات وخداع	١٧	١٤	١٤	١٢	٣	٢
قبول بصعوبة وتحفظ	١٩	١٤	٣	٤	١٦	١٠
● تكيف	٩٧	١٠١	٥٤	٥٣	٤٣	٤٨
	(٪٥٤)	(٪٥٨)	(٪٦٠)	(٪٥٩,٥)	(٪٤٨)	(٪٥٦)
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٦

إذا كانت استجابات الحرمان متساوية لدى الصبيان والفتيات، فإن الاختلاف كبير في موضوع هذا الحرمان وسببه (فرق ذو دلالة احصائية)، فالحرمان من حليب الأم (الفطام) يبدو سبباً قوياً لاستجابات الحرمان لدى الفتيات في حين أن الغيرة الأخوية هي التي تثير استجابات الحرمان لدى الصبيان.

يبدو الأمر وكأنه تنازع على الحصص فيما بين الصبيان بينما هو فقدان لأية حصة لدى الفتيات.

في العودة إلى تجربة الرضاعة الفعلية لدى كل من الفريقين، تعطينا الاستمارة التي وزعت على الأمهات النتائج التالية:

تميل الأمهات إلى إرضاع الذكور أكثر (الأم لم ترضع الذكور في ١٧٪ من الحالات

والإناث في ٣٢٪ من الحالات) ولفترة أطول (٣٥٪ ارضعن أبناءهن الذكور لمدة تزيد عن ٦ أشهر و٢٩٪ أرضعن الفتيات لنفس المدة). وفي دراسة قديمة أجراها بروثرو Prothro استنتاج شبيه يؤكد على أن الرضاعة هي المجال الأبرز في التفريق ما بين الجنسين (١٩٦١)[١٨].

غير أن ما يلفت النظر هو أنه بالرغم من هذا التفاوت الفعلي على مستوى الواقع والمعاش، فإن الفتيات يظهرن استجابات تكيف تزيد عن الصبيان (بدون أن يكون للفرق دلالة احصائية على أي حال) الذين يعبرون عن أزمات ورفض أكبر.

في كل طائفة على حدا، تتأكد النتيجة السابقة لدى الفريق المسلم. فاستجابات الحرمان العائدة للفطام أكبر لدى الفتيات المسلمات مما لدى الذكور الذين يعانون من الغيرة الأخوية. كما أن التجربة الفعلية تبين ميلاً أكبر لدى الأمهات المسلمات لإرضاع الذكور من أبنائهن أكثر من الإناث منهم (اللواتي لم يرضعن البنات بلغن تقريباً ضعفي اللواتي لم يرضعن الذكور). وفي الاتجاه عينه، بينت استجابات الفتيات تكيفاً متقارباً مع تكيف الصبيان.

أما بالنسبة للطائفة المسيحية، فالاتجاه كان مختلفاً. فاستجابات الحرمان كانت متشابهة بالنسبة لموضوعها (الفطام) وبالنسبة بتواترها. هذا بينما تشير أجوبة الأمهات إلى تمييز لصالح الذكور فيما يتعلق بالرضاعة. وتدل استجابات المآزم والتكيف عن تشابه فيما بين الجنسين.

والمقارنة بين الطائفتين تظهر لنا أن الغيرة الأخوية تشكل موضوعاً أكبر لاستجابات الحرمان لدى الصبيان المسلمين، مما يوحي بأن همهم الأكبر هو استملاك الأم التي يشاركهم بها أخوة اخرون. هذا مع العلم بأن عدد الأولاد متقارب لدى كل من الطائفتين مثلما تشير نتائج الاستمارة الرديفة.

أما بالنسبة للفتيات، فيظهرن في كلتي الطائفتين استجابات حرمان متشابهة موضوعها الأول هو الفطام. ولكن البنت المسلمة تبدي استجابات مأزمية أكبر من رفيقتها المسيحية دون أن يؤثر ذلك على مستوى تكيفها الذي يبدو متشابهاً لدى كليهما.

---

(١٨) E, PROTHRO; **Child rearing in the Lebanon;** (Massachussetts: Harvard University Press, 1961).

٤ ــ حكاية الدفن: (لكشف العدوانية، رغبات الموت، الذنب والعقاب الذاتي).

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
دفن طفل، أو دفن الطفل نفسه	٥١ (٪٢٨)	٣٩ (٪٢٢)	٢٤ (٪٢٧)	١٧ (٪١٩)	٢٧ (٪٣٠)	٢٢ (٪٢٦)
دفن أشخاص ذكور	٩٩ (٪٥٥)	١٠٢ (٪٥٨)	٥٥ (٪٦١)	٥٣ (٪٥٧)	٤٤ (٪٤٩)	٤٩ (٪٥٧)
أب	٧٢	٦٨	٤٢	٣٨	٣٠	٣٠
جد، عم أو خال	٢١	٣٢	٧	١٣	١٤	١٩
أخ	٦	٢	٦	٢	صفر	صفر
دفن أشخاص إناث	٢٧ (٪١٥)	٢٩ (٪١٧)	٩ (٪١٠)	١٤ (٪١٦)	١٨ (٪٢٠)	١٥ (٪١٧)
أم	١٥	١٢	٣	٤	١٢	٨
جدة، عمة أو خالة	٤	٨	صفر	٣	٤	٥
مختلف	٨	٩	٦	٧	٦	٢
مجموع	(*)٧٧	(*)١٧٠	٨٨	٨٤	٨٩	٨٦

(*) الفرق ناتج عن إجابات غير محددة.

لا تظهر استجابات الذكور والإناث اختلافات دالة احصائياً. فالفريقان يظهران استجابات عدوانية كبيرة موجهة خصوصاً ضد الأب!

وفي كل طائفة على حدا يبدو المشهد أكثر بروزاً. فالفرق الدال احصائياً يظهر فقط في الاستجابات العدوانية الموجهة ضد الأشخاص الذكور المسلمين، لا سيما منهم الأعمام والأخوال حيث توجه الفتيات استجاباتهن العدوانية تجاههم. والأخوة حيث يبدو الصبيان أكثر عدوانية إزاءهم، مما يعيد تذكيرنا بغيرتهم الأخوية الكبيرة في الحكاية السابقة.

عند الطائفة المسيحية تتقارب الاستجابات في دلالتها الاحصائية. ويبقى الأب، كما عند الطائفة المسلمة، الشخص الأقدر على استثارة عدوانية الأبناء من الجنسين.

والمقارنة ما بين الطائفتين تظهر عدوانية أكبر عند الصبيان المسلمين تجاه آبائهم وأخوتهم الذكور. ويلاحظ غياب العدوانية تجاه الأخ لدى الصبيان المسيحيين.

بالمقابل تبرز الأم والنماذج الأنثوية الأخرى كمرمى لعدوانية الصبيان المسيحيين أكثر من الصبيان المسلمين.

أما الفتيات فيتشابهن في تعبيراتهم العدوانية الموجهة خصوصاً ضد البالغين الذكور ولا سيما

الأب منهم، خصوصاً عند المسلمات منهن. وإزاء البالغين الإناث، ولا سيما الأم منهم، خصوصاً عند المسيحيات منهن.

٥ ــ حكاية الخوف: (لكشف القلق والعقاب الذاتي).

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
مخاوف ذات مركب قلق	١٩	٣١	١٦	١٩	٣	١٢
	(٪١١)	(٪١٨)	(٪١٨)	(٪٢١)	(٪٣)	(٪١٤)
ـ وحوش. أشباح	٨	٧				
ـ سارق، مجهول	١١	٢٤				
قلق، مازم، ذنب	٣٧	٤٠	٢٤	١٨	١٣	٢٢
	(٪٢١)	(٪٢٣)	(٪٢٦,٦)	(٪٢٠)	(٪١٥)	(٪٢٦)
ـ ظلام، اللون	٦	٦				
ـ الوحدة	٦	١٠				
ـ الله	٢	١				
ـ الموت	٢٢	٢٠				
ـ غير ذلك	١	٣				
مخاوف «عادية»	١١١	٨١	٤٤	٤١	٦٧	٤٠
	(٪٦٢)	(٪٤٦)	(٪٤٩)	(٪٤٦)	(٪٧٥)	(٪٤٦)
ـ حيوانات	٢٧	١٨				
ـ حرب	٨٤	٦٣				
مخاوف واقعية	١٢	٢٣	٦	١١	٦	١٢
	(٪٧)	(٪١٣)	(٪٦,٦)	(٪١٢)	(٪٧)	(٪١٤)
ـ ضرب	٤	١٠				
ـ أمور مدرسية	٦	٨				
ـ مختلف	٢	٥				
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٦

حين ندخل في مقارنة مخاوف الذكور والإناث من خلال عناوينها التفصيلية، لا يعطينا التحليل الإحصائي اختلافات ذات دلالة تذكر (مثلاً المخاوف التي تشي بالقلق متشابهة لدى الفريقين). ولكن إذا قارنا بين المخاوف في عناوينها الكبيرة تبدو الفروقات ذات دلالة احصائية

أكيدة. فالمخاوف العادية ترد أكثر على السنة الذكور بينما تظهر لدى الفتيات استجابات ذات مركب القلق. وحين نعتبر، مثلما فعل كاميلليري في دراسته الشبيهة التي اقتفينا اثرها هنا، إن المخاوف ذات مركب القلق تبدو مكتسبة من المحيط الثقافي والأسري بينما استجابات القلق والذنب والمآزم هي أكثر استثارة من النزوات الكامنة في لا وعي الطفل؛ لأصبح من اليسير علينا أن نلاحظ أن المخاوف النزوية للفتيات في العينة لا تختلف عن تلك التي تظهر عند الصبيان، وإنما الاختلاف يعود بوضوح إلى العامل الثقافي والأسري.

تتجسد مخاوف البنات أكثر في السائقين والمجهولين وفي الوحدة. وكأنما تعبيراتهن تشير إلى مخاوف اغتصاب خفية. إذ تربى الفتيات على هذا الخوف وعلى فكرة إن مجهولاً ما ينتظر أن تكون وحيدة ليسرق منها شيئاً هاماً (الذئب ينتظر ليلى الوحيدة).

ولا يبدو الانتماء إلى الطائفة المسلمة عاملاً مؤثراً في تعبيرات الخوف لدى الجنسين، بخلاف الانتماء إلى الطائفة المسيحية الذي يبدو مؤثراً بنتيجة اختبار «كا^2». فالمخاوف «العادية» لدى الذكور المسيحيين أكثر وروداً، أما مخاوف الفتيات فيأخذ القلق، بشقيه الثقافي والنزوي، جزءاً كبيراً من موضوعها، مما يشير إلى نوع من التربية في الأسرة المسيحية أكثر اعتماداً لمشاعر التأثيم إزاء الفتيات بالمقارنة مع الصبيان.

من جهة أخرى، فإن اختبار «كا^2» على أجوبة الجنسين في الطائفتين، يقدم لنا مؤشراً عن فارق ذي دلالة احصائية. فالأجوبة الدالة على مخاوف ذات مركب قلق تبدو كالتالي:

	ذكور مسلمون	ذكور مسيحيون
خوف من الوحوش، أشباح	(٦,٦٪)	(٢٪)
خوف من السارقين، المجهولين	(١١٪)	(١٪)

وحيث إن الملاحظة تشير إلى نوع من تعزيز الانتماء الذكري لدى الطائفتين، فإنه من الصعب ردّ الاختلاف إلى العامل الثقافي.

ونعتقد أن أجوبة الصبيان المسلمين تحمل مغزى أوديبياً أكثر ثقلاً، خصوصاً إذا ما تذكرنا نتائج الحكايات السابقة وما ظهر فيها من تعلق بالأم أكبر وبعدوانية إزاء الأب أكبر. لذلك، فإن إجابات الأطفال المسلمين توحي بأن السارق والمجهول والرجل الأسود ليسوا سوى رموز للأب نفسه، وتعبيراتهم ليست سوى اسقاط لعدوانيتهم عليه. لذلك أيضاً نلاحظ أن استجابات القلق والمازم والذنب أكثر بروزاً لديهم (راجع الجدول).

أما البنات فلم يظهر لانتمائهن الطائفي أثر يذكر على تعبيرات الخوف لديهن التي تشابهت

عموماً وإن بدا للعامل الأسري/ الثقافي اثر أقوى على مخاوف المسيحيات، في حين كانت المخاوف «النزوية» أكثر بروزاً لدى المسلمات.

٦ ــ **حكاية الفيل:** (لفحص مركب الخصاء)

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
تغيرات تافهة	٨٢	١٠١	٣٩	٣٦	٤٣	٦٥
	(٤٦٪)	(٥٨٪)	(٤٣٪)	(٤٠٪)	(٤٨٪)	(٧٥٪)
نمو الحجم، القامة	٨	١١	٤	٧	٤	٤
	(٤٪)	(٦٪)	(٤٪)	(٨٪)	(٤٪)	(٥٪)
اجابات انهيارية(*)	٢٨	١٥	١٣	١١	١٥	٤
	(١٦٪)	(٨٪)	(١٤٪)	(١٢٪)	(١٧٪)	(٥٪)
استبدال الفيل	١٤	٢٢	١٤	٢٢	-	-
	(٨٪)	(١٢٪)	(١٥٪)	(٢٥٪)		
تغير الخرطوم	٣٠	١٩	١٦	١٠	١٤	٩
	(١٧٪)	(١١٪)	(١٨٪)	(١١٪)	(١٦٪)	(١٠٪)
تغير أعضاء شبيهة بالخرطوم	١٤	٥	٢	١	١٢	٤
	(٨٪)	(٣٪)	(٢٪)	(١٪)	(١٣٪)	(٥٪)
أجوبة أخرى	٣	٢	٢	٢	١	صفر
	(٢٪)	(١٪)	(٢٪)	(٢٪)	(١٪)	
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٦

(*) (مثلاً، مرضت، جاع، ضعف، وقع)

تشير أجوبة البنات والصبيان إلى فرق ذي دلالة احصائية. فيظهر الصبيان أكثر تأثراً بالمغزى الجنسي للحكاية. والأجوبة التي أشارت إلى الخرطوم أو الأعضاء الشبيهة (أنف أو ذنب أو فم كبير مثلاً) أكثر وروداً لديهم. وقد يعود الأمر إلى مترسبات المأزم الأوديبي وهي ما زالت طازجة (أطفال من ٧ ـ ٩ سنوات) وقلق الخصاء الذي ما زالوا يحملونه، ويمكن افتراض أنه حمل ثقيل في الوسط الثقافي العربي حيث يعطى تقييم بالغ للعضو الجنسي الذكري يظهر في الكلام الشائع وفي مداعبات الأهل لولدهم.

هذه الفروقات فيما بين الجنسين تضعف عند الطائفة المسلمة. ولكن ما يلفت الانتباه هو تلك الأجوبة عند الفتيات المسلمات التي أشارت إلى استبدال الفيل لأسباب سحرية أو غير عقلانية (لقد صار فيلاً حقيقياً، يتحرك ويمشي ولونه رمادي ـ ٧ سنوات). (تغير كله، عيونه،

فمه، جلده، غيره الشيطان ـ ٧ سنوات) (انسحر وتغير ـ ٨ سنوات) (تغير وجهه، تحول إلى بنت ـ ٧ سنوات)، غيرته الساحرة (٩ سنوات) (وضعوا مكانه فيلاً حقيقياً ـ ٨ سنوات)... ونلاحظ أن الأجوبة لم تشر، في غالب الأحيان، إلى فاعل محدد، كما لم تشر إلى أية ردّة فعل سلبية أو ايجابية إزاء التغير، كما لو أنه من طبيعة الأمور. ونلاحظ كذلك أن الفيل كان في الغالب الأعم سلبياً يتلقى الفعل (محبوس ـ ٨ سنوات، ضاع وجاء واحد اخر مكانه ـ ٧ سنوات، يتغير حسب الطقس، إذا كان الطقس بارداً يبرد وإذا كان «شوب» يسخن ـ ٩ سنوات).

أما عند الصبيان فيأخذ الفيل دوراً فاعلاً (يمكن صار يدور لوحده ـ ٧ سنوات، هرب ـ ٧ سنوات، صار عادي مثل الفيل اللي بيعيش بالغابة ـ ٩ سنوات، صار كبير وصار يمشي ـ ٨ سنوات، مرض لأنه أكل سم ـ ٨ سنوات، زعلان لأنه عمل شيء مش منيح ـ ٨ سنوات).

فإذا أحصينا إجابات الذكور التي يظهر فيها الفيل فاعلاً لوجدنا ٢٢ إجابة (٢٤٪) أما عند الفتيات فنحصل على ١١ إجابة (١٢٪) ثم إن الأفعال مجهولة الفاعل ظهرت عند ١١ صبي وعند ٢٢ بنت. والفاعل كان ماورائياً مرة واحدة عند الصبي و٥ مرات عند البنت. والاختلاف بين الفريقين دال احصائياً.

تشير مقارنة الاجابات إلى نوع من الصدّ Inhibition لدى الشخصية الأنثوية المسلمة. الفعل أبعد من متناول الفتيات والفاعل أما فوقي/آلهي Suprême أو مجهول. وفي الحالتين ليس موضوع تماهي أو عدوانية. بالمقابل، عند الطائفة المسيحية، تبين المقارنة بين أجوبة الجنسين (انظر الجدول السابق) ان الاختلاف دالّ احصائياً ويظهر خصوصاً في تمركز الأجوبة عند الفتيات على التغيرات التافهة، وأجوبة الصبيان على الاهتمام الجنسي.

أما كيفية ظهور الفاعل في الأجوبة فنلاحظ ما يلي:

	صبيان	بنات
الفيل فاعل	٣١ (٣٥٪)	٥ (٦٪)
الفاعل معلوم	٣١ (٣٥٪)	٢٦ (٣٠٪)
الفاعل مجهول	٣ (٣٪)	٦(٧٪)
تغير بدون فاعل	٢٤ (٢٧٪)	٤٩ (٥٧٪)

والفرق ذو دلالة احصائية كبيرة (كا^{2} = ٢٨,٧٤، ٧ = ٣).

كما عند الطائفة المسلمة، كذلك عند الطائفة المسيحية، يبدو الفعل امتيازاً للصبيان،

وموضوع تماهيهم فاعل نشيط (الفيل فاعل) وكذلك موضوع عدوانيتهم محدد (الفاعل معلوم) في حين تتلقى الفتيات الفعل صاغرات، فلا يستطعن التماهي بفاعل نشيط (٦٪ فقط من الحالات كان الفيل فيها فاعلاً) كما لا يمكنهن إسقاط عدوانيتهن على فاعل محدد (فهو إما مجهول وإما غير موجود أصلاً في ٦٤٪ من الحالات).

وتعطينا المقارنة بين الطوائف فروقات ذات دلالة احصائية واضحة بين الصبيان. إذ تبدو أجوبة الصبيان المسيحيين أكثر تحديداً (الفيل فاعل أو الفاعل معلوم في ٧٠٪ من إجابات الصبيان المسيحيين و٣٢٪ من إجابات المسلمين ٢٤٪ الفيل فاعل + ١١٪ الفاعل معلوم)، كما أن اتهاماتهم أكثر وضوحاً وتتوجه خصوصاً إلى الأخوة والأخوات.

كذلك الأمر بالنسبة للفتيات، فالإجابات كانت أكثر تحديداً وواقعية عند المسيحيات منهن. ولم ترد لديهن أية إجابة تشير إلى استبدال الفيل بشيء اخر (تفكير سحري) بينما وردت لدى ربع العينة المسلمة كما أن الأجوبة الانهيارية كانت أكبر لدى الأخيرات.

٧ ــ **حكاية الغرض المصنوع:** لكشف سمة التملك والعناد ـ (المركب الشرجي).

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
رفض اعطاء الغرض	٥٠ ٪٢٨	٥٤ ٪٣١	٣٠ (٪٣٣)	٣٢ (٪٣٦)	٢٠ (٪٢٢)	٢٢ (٪٢٦)
حلول وسيطة	٢٧ (٪١٥)	١٩ (٪١١)	٥ (٪٦)	٤ (٪٤)	٢٢ (٪٢٥)	١٥ (٪١٧)
اعطاء الفرض للأم	١٠٠ (٪٥٦)	١٠٢ (٪٥٨)	٥٤ (٪٦٠)	٥٣ (٪٦٠)	٤٦ (٪٥٢)	٤٩ (٪٥٧)
غير محدد	٢	صفر	١	صفر	١	صفر
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٩

لم تشر المعالجة الاحصائية لفروقات ذات دلالة فيما بين الذكور والإناث عموماً أو لدى كل طائفة على حدا.

هذا مع العلم بأن معطيات الأستمارة الرديفة دلّت على ميل الأمهات من الطائفتين لبدء النظافة الشرجية مبكراً (٢٨٪ من الأمهات ذكرن بأن الأطفال تعلموا ضبط أنفسهم عند السنة) فكان من المتوقع الحصول على أجوبة تدل على نوع من التثبيت الليبيدي الشرجي (ميل إلى الاستحواذ، العناد) لدى الأطفال وهو ما خالفته أجوبتهم.

أما فيما يتعلق بتأثير الانتماء الطائفي، فلقد بدا فاعلاً (فرق احصائي دال بين الذكور) إذ ان المسلمين منهم عبروا عن ميل استحواذي أكبر (رفض التنازل عن الغرض) في حين كان المسيحيون أكثر ميلاً لإجراء التسويات (يلعب بالغرض ويشتري واحداً اخراً لأمه، ٨ سنوات).

وتختلف الفتيات في الطائفتين في الوجهة نفسها. فيبدو الميل الاستحواذي أكبر لدى البنت المسلمة، في حين يبدو الميل لاجراء التسويات أكبر لدى الفتاة المسيحية.

هذا مع التأكيد دائماً على سمة التعلق البارز لدى كل أطفال العينة، ذكوراً وإناث تجاه أمهاتهم.

٨ ــ **حكاية النزهة:** (لكشف المركب الأوديبي).

	صبيان	بنات	مسلمون		مسيحيون	
			صبيان	بنات	صبيان	بنات
أجوبة حيادية	٣١	٢٨	١١	١٠	٢٠	١٨
	(٪١٧)	(٪١٦)	(٪١٢)	(٪١١)	(٪٢٢)	(٪٢١)
أجوبة دالة على القلق	٥	١٢	٣	٩	٢	٣
	(٪٣)	(٪٧)	(٪٣)	(٪١٠)	(٪٢)	(٪٣)
أجوبة دالة على الانزعاج (لا الغيرة)	٧٣	٧٥	١٧	٢٠	٥٦	٥٥
	(٪٤١)	(٪٤٣)	(٪١٩)	(٪٢٢)	(٪٦٣)	(٪٦٤)
أجوبة دالة على الغيرة	٣	٢	١	١	٢	١
	(٪٢)	(٪١)	(٪١)	(٪١)	(٪٢)	(٪١)
أجوبة دالة على العدوانية	٦٤	٥٧	٥٦	٤٨	٨	٩
	(٪٣٦)	(٪٣٣)	(٪٦٢)	(٪٥٤)	(٪٩)	(٪١٠)
أجوبة دالة على الرضا	١	صفر	١	صفر	صفر	صفر
	(٪٠,٥)		(٪١)			
غير محدد	٢	١	١	١	١	صفر
	(٪١)	(٪٠,٥)	(٪١)	(٪١)	(٪١)	-
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٦

لا يدل تطبيق اختبار «كا^2» على فرق ذي دلالة احصائية. هذا مع الملاحظة بأن الأجوبة التي تدل على القلق بلغت عند الفتيات أكثر من ضعفيها عند الذكور، ولكن قلة العدد الإجمالي لهذه الأجوبة لا تسمح لنا باستخلاص سمة انثوية خصوصية.

كذلك لا يبدو الانتماء الطائفي عاملاً فاعلاً في التمييز الجنسي، فلم يبدِ الذكور والإناث في كلتي الطائفتين فروقات تذكر.

غير أن مقارنة الجنس نفسه في الطائفتين تشير إلى فروقات ذات دلالة احصائية كبيرة. فالصبيان المسلمون يعبرون عن عدوانية كبيرة تجاه الأب «وُجد ميتاً، ربما اصابته رصاصة» (٧ سنوات) «تسمم، مرض، لأنه أكل شيئاً دون أن يغسله» (٨ سنوات)، «مات لوحده لأنهم تركوه وذهبوا» (٩ سنوات). أما الصبيان المسيحيون فأشارت أجوبتهم إلى انزعاج كبير ولكن من دون اظهار عدوانية كبيرة.

كما يتبين لنا ان للانتماء الطائفي أثره أيضاً في تعبيرات الإناث. فالبنات المسلمات أظهرن استجابات عدوانية كبيرة إزاء الأب، في حين عبّرت المسيحيات عن انزعاج من الوضعية ولكن من دون عدوانية كبيرة.

إن تطابق الاتجاه لدى الذكور والإناث المتماثلي الانتماء الطائفي يؤكد على اثر هذا الانتماء. كما أن الفرق الحاد بين أبناء الطائفتين يشير إلى أن الحقل الثقافي للأسرة المسلمة أكثر استثارة للعدوانية تجاه الأب.

٩ ــ حكاية الخبر: (لمعرفة رغبات الطفل وخشيته).

	صبيان	بنات	مسلمون		مسيحيون	
			صبيان	بنات	صبيان	بنات
أخبار سارة	٦٨ (٪٣٨)	٩٢ (٪٥٢)	٢٦ (٪٢٩)	٣٥ (٪٣٩)	٤٢ (٪٤٧)	٥٧ (٪٦٦)
أخبار حيادية	٩٢ (٪٥١)	٦١ (٪٣٥)	٤٧ (٪٥٢)	٣٤ (٪٣٨)	٤٥ (٪٥١)	٢٧ (٪٣١)
أخبار غير سارة	١٢ (٪٧)	١٥ (٪٩)	١٢ (٪١٣)	١٣ (٪١٥)	صفر	٢ (٪٢)
غير محدد	٧ (٪٤)	٧ (٪٤)	٥ (٪٦)	٧ (٪٨)	٢ (٪٢)	صفر
مجموع	١٧٩	١٧٥	٩٠	٨٩	٨٩	٨٦

إن التناول الاحصائي انطلاقاً من اختبار «كا٢» يشير إلى فروقات ذات دلالة إحصائية فيما بين الذكور والإناث. إذ تميل الأخيرات إلى التوقعات السارة، في حين يتجمع الأوائل في فئة التوقعات الحيادية. تفاؤل يبدو في سياق تحليلنا حتى الان مفاجئاً، ولكنه يذكر بذلك الميل للتكيف والتوافق الذي بدا مميِّزاً أكثر للبنات.

غير أن النظر في وضع كل طائفة على حدا يحدّد وجود هذا الاختلاف فقط في الطائفة

المسيحية، إذ تدل الأرقام على فرق دال بين الجنسين، وتبدو البنات المسيحيات أكثر ميلاً إلى التفاؤل من الذكور المسيحيين، وفي حين أن الذكور والإناث من الطائفة المسلمة لم يكن الفارق بينهم دالاً احصائياً.

أما المقارنة بين الطوائف فتبين أن الذكور المسيحيين أكثر ميلاً للتفاؤل من رفاقهم المسلمين وكذلك الفتيات المسيحيات أكثر ميلاً للتفاؤل من البنات المسلمات (فرق دالّ احصائياً).

هذا الاتجاه يظهر بشكل آخر في دراسة صادرة عن مركز الدراسات والبحوث حول الشرق المسيحي[١٩] وتشير إلى أن المسيحيين عموماً يبدون ثقة بالحياة أكبر من الفئات المسلمة، فهل يعود الأمر إلى الحضور الكثيف للديني في اليومي لدى الطائفة المسلمة؟

قد يصح هذا التساؤل فيما لو كنّا نتكلم عن أشخاص مسلمين بالغين، فالإسلام أساساً هو دين الكبار، ولا يتوجب على الصغير فيه تبعات دينية (صلاة وصوم حتى التاسعة) وبالمقابل يبدو الدين المسيحي أكثر انخراطاً في معاش الصغار (أعياد وطقوس خاصة بالأطفال). لذا، يبدو الأمر وكأنه استدماج لصور مقلقة أو لمعاش علائقي أكثر إثارة لمشاعر القلق وعدم الاكتفاء (ونتذكر هنا أجوبة الأطفال المسلمين على حكاية العصفور وحكاية الخوف وحكاية النزهة ودائماً كانت تعبيرات القلق أكثر وروداً لديهم).

١٠ ــ حكاية الحلم السيىء: (لضبط الحكايات السابقة).

			مسلمون		مسيحيون	
	صبيان	بنات	صبيان	بنات	صبيان	بنات
أحلام عن أحداث تصيب الطفل	٢٧ (٪١٥)	٣٤ (٪١٩)				
أحلام موت أو دم	٣٧ (٪٢١)	٣٠ (٪١٧)				
مخاوف من النمط الواقعي	٣٩ (٪٢٢)	٤٢ (٪٢٤)				
مخاوف من النمط الخيالي	٧٣ (٪٢١)	٦٢ (٪٣٥)				
غير محدد	٣ (٪٢)	٧ (٪٤)				
مجموع	١٧٩	١٧٥				

(١٩) A. BOUDJIKANIAN; A. KAHI; J. KHOURY, **Orientations culturelles et valeurs religieuses au Liban,** (Beyrouth: CEROC, 1989), P. 96.

لا تشير المقارنة الاحصائية لاستجابات الجنسين إلى فروقات ذات دلالة احصائية، وتبدو المخاوف الخيالية هي الأكثر شيوعاً، وهو ما يتوافق مع ميول الأطفال في هذه المرحلة العمرية حيث يبدأون بالقراءات الخيالية والمغامرات.

إن مقارنة الجنسين في كل طائفة على حدا تبين عن عدم وجود فوارق ذات دلالة احصائية بين الذكور والإناث المسلمين، أما لدى الأبناء المسيحيين فيظهر الاختلاف فقط في فئة المخاوف من النمط الواقعي ونفصلها في الجدول التالي:

	صبي مسيحي	بنت مسيحية
- أحلام تتعلق بالضرب، أو الخوف من زعل الأهل	٥ (٪٢٤)	١ (٪٦)
- أحلام تتعلق بالمرض والحوادث	١ (٪٥)	٤ (٪٢٣)
- أحلام سجن، سارقين، أشخاص مجهولين	٢ (٪٩)	٨ (٪٤٧)
- أحلام تتعلق بالحرب	١٣ (٪٦٢)	٤ (٪٢٣)
مجموع	٢١	١٧

ونلاحظ أن مخاوف الصبيان تمحورت في الغالب على الحرب، في حين كانت أكثر من نصف إجابات الفتيات متعلقة بالسارقين والمجهولين والمسجونين، وهو ما يعاود تذكيرنا بالإجابات السابقة حيث بدت الفتيات المسيحيات أكثر تعبيراً عن مثل هذه المخاوف ذات مركب القلق وكنا قد أشرنا إلى أثر عامل التربية الأسرية في مثل هذا الاتجاه.

من جهة أخرى، فإن مقارنة أجوبة الذكور من الطائفتين تظهر فارقاً ذا دلالة يتعلق بفئة «الأحداث التي تصيب الطفل» ويلاحظ أن الصبيان المسلمين يتجاوزون أترابهم المسيحيين في الأجوبة التي تدل على ضعف الطفل أو ملاحقته (١٢ صبي مسلم، صبيان مسيحيان) وتشير إلى مشاعر القلق الأكثر ارتفاعاً لدى الأوائل، تأكيداً للملاحظات السابقة. ولقد بدا الصبيان المسيحيون أكثر انشغالاً بموضوعات الحرب ومخاوفها.

أما بالنسبة للفتيات، فإن تطبيق اختبار «كا^{2}» لم يعط أي مؤشر عن فروقات دالة فيما بينهن.

سادساً ـ مناقشة النتائج والخلاصة

بالنظر إلى النتائج التي عرضت نجد أن الفرضية الرئيسية التي انطلقنا منها في هذا البحث ومفادها أن الشخصية الانثوية اللبنانية تنمّ عن ضعف عام في سيرورة الفردنة، قد تبين صدقها من خلال المؤشرات التالية:

ـ درجة تعلق كبيرة بالأهل عموماً وبالأم خصوصاً (حكاية رقم ١، وحكاية رقم ٧).

ـ مشاعر حرمان قوية عبرت عنها الفتيات (الحكاية رقم ٢، الحكاية رقم ٣).

ـ تعبيرات قلق (حكاية رقم ٥، حكاية رقم ٨).

ـ عدوانية مصدودة لا تجد موضوعاً تحال إليه في أغلب الأحيان (حكاية الفيل) وحين يفلت التعبير يتوجه ناحية الذكور وخصوصاً الأب (حكاية رقم ٤).

ـ موضوعات تماهي غير محدد، السمات، سلبية أو لاعقلانية (حكاية الفيل).

وفي المؤشرين الأخيرين نلاحظ تحقق الفرضية الإجرائية الأولى التي تشير إلى تميز التعبيرات النفسية عند الفتيات اللبنانيات بنوع من الصدّ.

غير أن ما يجعل رسم الشخصية الأنثوية على شيء من التشوّش هو تلك التعبيرات الدالة على التكيف وعلى التفاؤل التي وردت في أكثر من مناسبة لدى الفتيات (حكاية رقم ٣، حكاية رقم ١٠). مما يؤكد عدم صحة الفرضية الإجرائية الثانية (قلق وتبعية عند الفتيات).

ولكن هل في الأمر تشويش حقاً، أم أنه ينخرط في السياق ولا يحيد عنه؛ فإذا كانت التعبيرات الأنثوية على هذا المستوى من التأزم، هل يمكن اعتبار إجابات التكيف حالة سوية؟ أليس من الأنسب ادماجها في تعبيرات التأزم نفسه؟ ألا تدل هذه الاستجابات على نوع من الخضوع القدري واحتمال القهر في صبر يبدو مذلاً أكثر مما هو ايجابي؟ أليس تجسيداً لغياب ذات فاعلة ترى إلى الواقع من مسافة كافية لاتخاذ موقف موضوعي منه؟

أما بالنسبة إلى الفرضية الإجرائية الثالثة حول اثر الانتماء الطائفي على التعبيرات النفسية، فلقد تأكد صدق الفرضية في مجالات ومستويات محددة ومتفاوتة الأهمية.

من جهة أولى بدا الأثر الطائفي أقل فاعلية في تعبيرات الاناث منه في تعبيرات الذكور (حكاية العصفور، حكاية الحمل، حكاية الدفن، حكاية الموت، حكاية الحلم).

أما اثر الانتماء الطائفي على التعبيرات النفسية الانثوية فكان في الحكايات التي تثير وقائع الغيرة من اتحاد الوالدين (حكاية رقم ٢) وقلق الحضاء (حكاية رقم ٦) والميل الاستحواذي

والعناد (حكاية رقم ٧) المركب الأوديبي (حكاية رقم ٨) والرغبات والمخاوف (حكاية رقم ٩).

ترتدي هذه الملاحظة أهميتها إذا ما علمنا أن الانقسام كان بارزاً في التعبيرات النفسية الذكورية لدى الطائفتين في الحكايات العشر كلها.

هذا الأمر يدفعنا إلى ملاحظة ضعف التوظيف الاجتماعي/ الطائفي في العنصر الأنثوي عموماً، فكأنما الرهان الطائفي الذي يجسد رهاناً أسرياً قوياً ينصبّ أكثر على الذكور بصفتهم حاملي الإرث الاجتماعي الضخم.

وبالرغم من الأثر الايجابي لهذا التمييز الذي يمكن ملاحظته على صعيد المواقف السياسية الأكثر تقبلاً وتسامحاً إزاء الاخر (هل ضعف الانخراط النسائي في الحرب هو أحد مؤشرات هذا الأثر الايجابي؟) إلا أننا نميل إلى استثماره في التأكيد على فرضيتنا الأساسية، من حيث كونه تغييباً لمشروع بناء اجتماعي واضح المعالم بشأن المرأة، يعكس تغييباً لمشروع بناء نفسي خاص ومتميز للمرأة.

على أي حال نلاحظ أن التشابه الأساسي فيما بين الإناث في كلتي الطائفتين يظهر في الحكايات التي تشير إلى القلق ومشاعر الذنب والتعلق، مما يوحي بتشابه الموقف الأصلي تجاه الإناث عموماً في الطائفتين. والعناصر الأساسية في هذا الموقف تقوم على تأثيم كل ما له علاقة بالجسد من خلال الفصل الجنسي الحاد منذ الطفولة المبكرة (تعلق قوي بالأم ـ غياب الأب) مع عدم إشباع فمي (تعبير عن مشاعر حرمان نتيجة الفطام) واستثارة العدوانية تجاه الذكور (حكاية الدفن) والخوف المضخم غير الواقعي من المجهول الذي يتمثل بالذكور المجهولين، من السارقين، من الرجال السود (حكاية الحلم، وحكاية الخوف).

أما الاختلاف الذي تبدّى نتيجة الأثر الطائفي فكان في معاش هذا التمييز الجنسي الأساسي. فشكل الاتحاد الجنسي بين الأبوين (قوة صورة الثنائي الزوجي أو ضعفها مثلاً) قد يضعف أو يقوى تأثيره. كما أن المركّب الأوديبي يتخذ مظاهر مختلفة تبعاً للانتماء الطائفي، غير انها فروقات لا تصل إلى حدّ بناء تمايزات فردية قوية تلغي الأثر الطائفي وتمحيه. فتبقى الفتاة منساقة في تيارات جمعية قوية، وتتشابه في هذا الاتجاه مع الشاب الذي وإن كنا نظرنا إليه بوصفه متمتعاً نسبياً بسمات فردية أكثر انبناء، إلا أنه يبقى خاضعاً لهذه التيارات غير قادر على التفلت منها.

ويتأكد لنا الأمر إذا ما نظرنا داخل كل طائفة على حدا. ففي الطائفة المسلمة يبدو الميل أكبر للتشابه فيما بين الجنسين (ثلاث حكايات من أصل عشر بانت عن فروق دالة احصائياً). أما

لدى الطائفة المسيحية، فإن التمايز فيما بين الجنسين يبرز بشكل أوضح (خمس حكايات من أصل عشرة).

في تفسير هذا الاختلاف، نميل إلى الاعتقاد بأن انجذاب الأسرة في الطائفة المسيحية نحو النموذج الغربي، من حيث ظهور أوضح لفكرة المثلث العائلي (أم ـ أب ـ طفل) ومن ضمنها فكرة الثنائي الزوجي Couple (يلاحظ خيار الأطفال المسيحيين للوالدين معاً في الحكاية الأولى)، وبروز الطفل كمشروع أسري لكلا طرفيه من جهة أولى. ومن جهة أخرى فإن التوافق ما بين الأسرة المتمحورة حول الطفل، والإطار الديني المسيحي عموماً الذي يعيّن مركزاً أكثر أهمية للطفولة بصفتها الأرضية التي ستغرس فيها بذور المعتقدات الدينية والاجتماعية... هذا التمحور الديني/الأسري يؤدي إلى تماهيات أكثر استقراراً عند طفل الأسرة المسيحية، الأنثى والذكر، فالأم كما الأب يحضران في تمثلات الأطفال ويهيئان أساساً متيناً لبنائهم النفسي أي لفردانية متبلورة.

بالنسبة إلى الأسرة المسلمة نلاحظ أولاً طغيان الصورة الأمومية في وجدان الأطفال، وابتعاد الأب عن الحلقة الأسرية. الذي يضفي على صورة هذا الأب نوعاً من المثالية. هذا ما يقابله على المستوى الاجتماعي تساهل ديني إسلامي إزاء الأطفال حتى البلوغ. والبلوغ يبدو هدفاً أعلى، إذ بواسطته ينخرط الفرد في الجماعة، ويعترف بكيانه الخاص. ولا شك أن هذا الوضع يبدو مؤاتياً أكثر لفردانية الذكور منه للإناث. فالصبي في الأسرة المسلمة، ليس فقط حامل اسم العائلة وإرثها، وإنما هو الشريك الحقيقي والثابت للأم (وليس الأب الغائب فعلاً أو المحتمل غيابه ـ بسبب الطلاق ـ كل لحظة) وهو سند لها في حال رميت بعد زواج آخر ومانعاً لحدوثه في أحيان كثيرة. هذه العلاقة أم ـ ابن سوف تجد انعكاساتها لاحقاً في تضخيم صورة المرأة في الذهن المسلم.

أما الفتاة فهي، إلى كونها جاءت دون أن تنتظر بل رغماً عن إرادة الأم نفسها (كم لعنة حملت الأمهات ورددتها شفاههن وعيونهن حين انجبن تلك المولودة الأنثى؟) تعاني، إضافة لذلك الإحباط الأصلي والسديمي الذي نشأت منه، ليس فقط من الخوف من فقدان الأب لدى الأم، وإنما أيضاً من فقدان فعلي للأب الذي ينضج فيها الرغبة بالكينونة المتغايرة. أب غائب، تحوّل الفتاة المسلمة رغبتها بجذبه إلى رغبة عامة بالجذب. ألا يشكل تضخيم البعد الجنسي في الشخصية الأنثوية المسلمة[٢٠] استجابة لهذا الواقع، ومحاولة تأكيد لذات تبدو مغيبة في الحقل النفس ـ اجتماعي؟

---

(٢٠) AIT SABAH, **La Femme dans l'inconscient musulman**, (Paris: Le sycomore,

ملحق: الاختبار

١ ــ **حكاية العصفور**: العصفور البابا والعصفورة الماما إبنهم العصفور الصغير كانوا نايمين بالعش، على غصن شجرة. هبت ريح قوية، هزت الشجرة ووقع العش على الأرض، فاقوا العصافير الثلاثة فجأة. العصفور البابا طار بسرعة على شجرة صنوبر، والعصفورة الماما طارت على شجرة ثانية، شو بيعمل العصفور الصغير؟ وهوّي بيعرف يطير شوي.

٢ ــ **حكاية عيد الزواج**: الماما والبابا بيحبوا بعضهم كتير وعملوا عيد زواج حلو كتير. بس الولد الصغير بيترك العيد وبيروح على محل بعيد بآخر الجنينة، ليش؟

٣ ــ **حكاية الحمل**: كان في نعجة وابنها الحمل (الخروف الصغير) عايشين بالحقل. وكان الحمل الصغير بيلعب وينط كل النهار حدّ أمه. وعشية، تعطيه أمه حليب طيب سخن بيحبه كتير. وكان كمان بلش ياكل عشب. بيوم من الأيام، بيجيبوا للنعجة الماما حمل كتير صغير جوعان منشان الماما ترضعه. بس الماما نعجة ما عندها حليب يكفّي للاثنين وبتقول لابنها الحمل: «أنا ما عندي حليب الكن انتو الاثنين؛ روح إنت كول العشب الطري» شو بيعمل الحمل؟

(من أجل الحكم على مركب الفطام نفسه فقط، يلغى قدوم الحمل الصغير ويقال للطفل إن النعجة لم يعد لديها حليب وعلى الحمل أن يبدأ بأكل العشب).

٤ ــ **حكاية الدفن**: جنازة مارقة بساحة الضيعة والناس عم يسألوا: مين هيدا اللي مات؟ في واحد بيقول: اللي مات هيدا واحد من العيلة اللي ساكنة هيداك البيت. مين هو؟

٥ ــ **حكاية الخوف**: في ولد عم بيقول لحاله بصوت واطي: «بي، أنا شو خايف!» من شو هو خايف؟

٦ ــ **حكاية الفيل**: في ولد صغير عنده فيل صغير بيحبه كتير لأنه كان كتير حلو وإلو خرطوم طويل. بيوم، بيرجع الولد من مشوار وبيفوت على غرفته وبيلاقي انو الفيل تغير. شو اللي تغير فيه؟ وليش تغير؟

٧ ــ **حكاية الغرض المصنوع**: قدر ولد يعمل شي حلو كتير (عمّر برج مثلاً) وكان شايفه كتير، كتير حلو. شو بيعمل فيه؟

طلبت أمه منه أنو يعطيها ياه، هو حر، بيعطيها ياه؟

٨ ــ **حكاية المشوار**: صبي (أو بنت) راح مشوار حلو كتير بالغابة، لحاله مع أمه (أو مع بيها) وانبسطوا كتير سوا. لما رجع الصبي على البيت، لقى بيو (أو البنت لقيت أمها) هيئته مش

طبيعية، ليش؟

٩ ــ حكاية الخبر: رجع ولد من المدرسة (أم من مشوار) وقالت له أمه: ما تبلّش دغري بالدرس، عندي خبر بدي قلّك ياه؟ شو بدها تخبره أمه؟

١٠ ــ حكاية الحلم السيىء: فاق الولد من نومه الصبح تعبان وقال «أوف، شوها الحلم البشع اللي شفتو بمنامي» شو شاف بمنامو؟